مقال جدير بالاطلاع عليه

نشر على موقع مركز تريندز للبحوث ورابطه ادناه ، رأيت من المفيد اطلاعكم عليه . مع التقدير.

علاء الدين حسين مكي خماس

" TRENDS Research and Advisory - أفغنة أوكرانيا".. تهديد إرهابي للأمن والاستقرار في قلب أوروبا

افغنة أوكرانيا تهديد إرهابي للامن والاستقرار في أوروبا

إيهاب نافع

تعيش أوروبا واحداً أخطر التهديدات الأمنية والسياسية في تاريخها الحديث، فضلاً عن كونه أقوى تهديد إرهابي حقيقي، فعلى الرغم من أن أوروبا خاضت حروب مواجهة الإ رهاب كافة خارج أراضيها من خلال الانخراط في تحالفات تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية تارة، أو تحت قيادتها تارات أخرى، فإن تلك الحروب كانت جميعها خارج أر اضيها؛ من أفغانستان إلى كلٍّ من سوريا والعراق ومالي وبوركينا فاسو وأعماق أفريقيا، لكن المختلف هذه المرة أن أوروبا قد تضطر لمواجهة خطر الإرهاب على أراضيها، ف في الوقت الذي تبدو فيه الحرب الأوكرانية مواجهة بين جيوش نظامية قد تنتهي بالسلا م في أي لحظة من خلال التوصل إلى اتفاق سياسي، لكن هذه الحرب لها وجهان آخر ان: أولهما أنها واحدة من أخطر المواجهات غير المباشرة بين روسيا والولايات المتحدة وحلف الناتو. وثانيهما، وهو الوجه الأخطر لتلك الحرب، أنها استحضرت روح "الحر ب الأفغانية" بشكل وصل بالبعض إلى توصيفها مباشرة بأنه يجري "أفغنة أوكرانيا"؛ ب معنى إقحام جيوش غير نظامية وجماعات مسلحة من كلا الجانبين الروسي والأوكراني

، وهو ما يعني أن هؤلاء المتطرفين سيمثلون تهديداً حقيقياً للأمن في أوكرانيا وأوروبا كلها. بل إنه يجري إعداد أوكرانيا لأن تصبح خنجراً في الخاصرة الأوروبية يهدد أمنها وينال من استقرارها، بشكل يجعل منظومتها الأمنية محل استهداف في موجة متطورة شديدة الخطورة من الإرهاب، التي ربما لن تجدي معها نفعاً تحالفات مواجهة الإرهاب عبر الضربات الجوية والتعامل عن بُعد، كما كان يحدث في غالب التجارب الأوروبية السابقة.

وفي هذا الإطار، تحاول هذه الدراسة معرفة حجم العناصر غير النظامية في الحرب ا لأوكرانية وطبيعتها، فضلاً عن معرفة أوجه المقارنة بين النموذجين الأوكراني والأفغاني ، وأخيراً، توضيح حجم التهديدات المستقبلية التي تشكلها ظاهرة المقاتلين الأجانب للأم ن في أوروبا.

أولاً، الدعوات الأوكرانية والروسية لإقحام غير النظاميين في الحرب:

منذ بداية الحرب الأوكرانية ناشد الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي كلَّ من يمكنه م عاونة جيش بلاده في مواجهة القوات الروسية، وأعلن زيلينسكي، نهاية فبراير الماضي، عن إنشاء "فيلق دولي أجنبي" للمتطوعين من خارج البلاد، وقال في بيان: "سيكون ه ذا الدليل الرئيسي على دعمكم لبلدنا"[1]. كما أكدت المخابرات الأوكرانية في مطلع ما رس الماضي أنها عثرت على قلادات هوية صنعت لعناصر مجموعة فاغنر، واتهمت في بيان لها مجموعة فاغنر التي يبدو أنها أعادت تسمية نفسها باسم "ليغا"، بمساعدة روسيا في غزوها لأوكرانيا، وزعمت أن بعض المرتزقة التابعين لها شاركوا فعلياً في عم ليات قتالية على الأراضي الأوكرانية ضمن صفوف الجيش المعتدي. وأعلنت أوكرانيا م طلع الشهر الجاري، أن روسيا تخطط لإرسال ما يصل إلى ألف عنصر من المرتزقة إ لى كييف لتعزيز قواتها التي تحاول مهاجمة العاصمة الأوكرانية.

وبالمقابل، أعدت روسيا قوائم تضم أسماء 40 ألف مقاتل من الجيش السوري والميليشيا ت المتحالفة معه، لوضعهم على أهبة الاستعداد للانتشار في أوكرانيا، وافتتح ضباط ر وس بالتنسيق مع الجيش السوري والميليشيات الموالية له مكاتب تسجيل في مناطق س

يطرة النظام، وأن 18 ألف رجل آخرين سجلوا أسماءهم في حزب البعث الحاكم في سو ريا، على أن تقوم مجموعة فاغنر بتدريبيهم[2]. كما أعلن الكرملين أنه سيسمح للمقاتلي ن من سوريا ودول الشرق الأوسط بالقتال إلى جانب روسيا في أوكرانيا، بعدما دعم الر ئيس فلاديمير بوتين خطة إرسال مقاتلين متطوعين للانخراط في الحرب. كما قال الن اطق باسم الكرملين دميتري بيسكوف إن وزير الدفاع الروسي لفت إلى أن "معظم الأ شخاص الذين يرغبون وطلبوا (القتال) هم مواطنون من دول في الشرق الأوسط وسوريو ن".[3] وقد دعم الرئيس بوتين خطط السماح لمتطوعين، بما في ذلك أولئك القادمون م ن الخارج، بالقتال في أوكرانيا. كما ذكر وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو أن أكثر م ن 16 ألفاً، معظمهم متطوعون من دول الشرق الأوسط، طلبوا المشاركة في الحرب.[4]

ثانياً، حجم العناصر غير النظامية في الحرب الأوكرانية وطبيعتها:

يتزايد يوماً تلو الآخر حجم القوات غير النظامية وعددها في معركة أوكرانيا؛ ففي الوق ت الذي وافق فيه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على فكرة الاستعانة بآلاف المتطوع ين من الشرق الأوسط وتوجيههم إلى منطقة دونباس بغية المشاركة في القتال الجاري هناك إلى جانب روسيا خلال اجتماع للأعضاء الدائمين لمجلس الأمن الروسي، قال و زير الدفاع الروسي: "نتلقى أعداداً هائلة من الطلبات من المتطوعين من دول مختلفة يرغبون في التوجه إلى جمهوريتي دونيتسك ولوغانسك الشعبيتين بغية المشاركة في ما يعتبرونه حركة تحرير، ومعظمهم من دول الشرق الأوسط، إذ تجاوز عدد الطلبات عت بة الـ16 ألفاً، وفي هذه المسألة نعتبر من الصحيح الرد إيجابياً على هذه الطلبات، خا صة وأنها تأتي ليس لاعتبارات مالية بل بسبب الرغبة الحقيقية من قبل هؤلاء الناس، ونعرف الكثيرين منهم، وقد سبق أن ساعدونا في الحرب ضد "داعش" في أصعب فترة، خلال السنوات العشر الماضية"[5]. وقد اعتبر بوتين، رداً على عرض وزير دفاعه، أ ن "الممولين الغربيين للنظام الأوكراني لا يخفون عملهم على جمع مرتزقة من مختلف أ

رجاء العالم ونقلهم إلى أوكرانيا"، محملاً إياهم المسؤولية عن "التجاهل التام لكافة أعر اف القانون الدولي"[6].

من جانب آخر أعلن المرصد السوري عن أن أكثر من 40 ألف مقاتل سوري سجلوا أ سماءهم للذهاب إلى أوكرانيا للقتال بجانب الروس مقابل إغراءات مالية وامتيازات، ومع تبراً أن الروس ضاعفوا توزيع المواد الإغاثية في سوريا تزامناً مع الحرب في أوكرانيا، كجزء من تلك الإغراءات، وأن الفرقة 25 ولواء القدس وجيش التحرير الفلسطيني والف رق الحزبية يروجون للقتال في أوكرانيا ويسجلون أسماء المقاتلين[7].

ومن جانبها أعلنت صحيفة "التايمز" البريطانية أن 400 عنصر من مرتزقة "فاغنر" ا لروسية يتواجدون في كييف بهدف اغتيال الرئيس فولوديمير زيلينسكي، تمهيداً لسيطرة موسكو على أوكرانيا، وأن عناصر "فاغنر" لديهم أوامر من الرئيس فلاديمير بوتين، ب تصفية زيلينسكي و23 شخصية حكومية أخرى، وأن المرتزقة ينتظرون إشارة من الكرم لين، ووُعدوا بمكافآت مالية ضخمة. وأضافت الصحيفة أن ما بين 2000 و4000 مر تزق وصلوا بالفعل إلى أوكرانيا خلال يناير الماضي، حيث انتشر البعض في المنطقتي ن الانفصاليتين دونيتسك ولوغانسك، فيما دخل 400 آخرون من بيلاروسيا وشقوا طر يقهم إلى العاصمة[8].

وبالمقابل أعلن الجيش الأوكراني عن وصول أول مجموعة مقاتلين متطوعين من بريطا نيا للمشاركة في القتال ضد القوات الروسية، ليكونوا جزءاً مما أسمته كييف (الفيلق الد ولي)، وقد أعلن الرئيس، فلوديمير زيلينسكي، أن بلاده ستستقبل 16 ألف متطوع يمثلو ن الدفعة الأولى من المقاتلين الأجانب الذين "سيدافعون عن حرية أوكرانيا وشعبها"، فيما قال وزير الخارجية، دميترو كوليبا: إن عدد المتطوعين بلغ 20 ألفاً من 52 دولة ومعظمهم ينحدرون من أوروبا. واللافت أن أوكرانيا لم تكن تعاني حاجة فعلية إلى الج نود المقاتلين، كما أنها بدأت باتخاذ إجراءات للتعبئة العامة، ومنعت جميع الذكور من ذوي الأعمار (18-

60) عاماً من مغادرة البلاد مع موجات الفارّين من المعارك، ويمثل هؤلاء نسبة لا تقل

عن 27% من عدد السكان في أوكرانيا، أي نحو 12 مليون شخص مما يقارب 44 م ليون نسمة، ويعني ذلك أن البلاد كان لديها بالفعل قدرات لتجنيد قوات احتياط ضخمة. ولن يضيف عدة آلاف من المقاتلين الأجانب قدرات قتالية حاسمة لها[9].

وقد سافر بالفعل عشرات آلاف المتطوعين إلى أوكرانيا للانضمام إلى قواتها، وفقاً لوزي ر الخارجية الأوكراني دميترو كوليبا، بعد إعلان الرئيس الأوكراني أن بلاده ستنشئ " فيلقاً دولياً" للمتطوعين من الخارج لتنفيذ عمليات داخل البلاد، تشمل مواجهة المرتزقة ا لتي يرسلها الكرملين وجهاً لوجه، مقابل مبالغ تصل إلى 2000 دولار يومياً. وقد كشف "ضابط من الصف الأول" ضمن أحد فصائل المعارضة السورية المسلحة، لمنظمة " سوريون من أجل الحقيقة والعدالة"، عن بدء عمليات التسجيل للذهاب إلى أوكرانيا، وق ال: "هناك عمليات تسجيل حالياً تتم في مناطق السيطرة التركية، وعمليات التسجيل هذ ه تتم بناء على رغبة الفصائل في قتال الروس"، نافياً أن يكون التسجيل بطلب من الم خابرات التركية، وكذلك أكد مقاتل في أحد فصائل المعارضة للمنظمة أنه قام بتسجيل ا سمه للذهاب إلى أوكرانيا عبر أحد الأمنيين في فرقة السلطان مراد (مقربة من تركيا)، والذي قاتل معه في أذربيجان، كما أن مسألة تجنيد مرتزقة عرب للقتال في أوكرانيا تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي[10].

ولم يقتصر الحضور للقوات غير النظامية في الحرب على ذلك، حيث تجلى حضور شيشاني واضح في المعركة في كلا الجانبين، إذ سارع القائد الشيشاني "رمضان قديرو ف" إلى إرسال قوات خاصة إلى أوكرانيا، ولم يكُفّ الرئيس الشيشاني عن الحديث عن إنجازات رجاله كما حدث حينما أعلن في 3 مارس 2022 عن احتلال قواته قاعدة ع سكرية كبرى كانت تابعة لـ"قوميين متطرفين أوكرانيين"، ولا يعرف عدد المقاتلين الشيش ان الذين تم نشرهم في أوكرانيا على وجه اليقين، لكن بعض التقارير تحدثت عن عشرة آلاف مقاتل، بينما أكد قديروف في 17 مارس 2022 أن ألف متطوع شيشاني في طر يقهم للانخراط في صفوف القوات الروسية التي غزت أوكرانيا، حيث تستخدم موسكو ا لقوات الشيشانية في قتال الشوارع المُحتمل أن يصاحب الاستيلاء على كييف أو غيرها

من المدن، حيث تقول تقارير إن القوات الشيشانية تخوض معارك شرسة في مدن الس احل الأوكراني الاستراتيجية[11].

ولم يقتصر الحضور الشيشاني في الحرب الأوكرانية علي قديروف ورجال جيشه الموال ين لموسكو، ففي جانب آخر من المشهد ظهر مقاتلون شيشانيون آخرون في أوكرانيا، لم يسامحوا قديروف على دعمه موسكو في 1999-

2000 وعلى سحق مطالبهم بالاستقلال عن روسيا، فوجدوا في الحرب الدائرة على أر اضي أوكرانيا فرصة للقتال ضد روسيا التي يعتبرونها عدوهم الأول، فبعد يومين من ا لغزو الروسي، سارع القائد الشيشاني المعادي لروسيا، أحمد زكاييف، والذي شغل من صب نائب رئيس الوزراء في حكومة الشيشان إشكيريا، قبل أن يتولى رئاسة الحكومة في المنفى لعدة سنوات – سارع إلى دعوة المقاتلين الشيشان من جميع أنحاء أوروبا إل ى القتال من أجل أوكرانيا وصد عدوان روسيا، ويوجد في أوكرانيا كتيبتان مكونتان إلى حد كبير من قدامى المحاربين في الحرب الشيشانية، وكلتاهما نشطت منذ عام 2014 ، فيما يدور الحديث حول ما بين (300 إلى 500) شيشاني يقاتلون إلى جانب الأوكر انيين، ومن الصعب التحقق من الأرقام الحالية، والكتيبتان هما كتيبة "الشيخ منصور" نسبة إلى الإمام منصور الشيشاني، الذي قاد المقاومة ضد القوات الروسية في القوقاز أواخر القرن الثامن عشر مدة تسع سنوات، قبل أن يُؤسر ويُقتل في السجن، وتحالفت تلك الكتيبة مع الجماعات اليمينية المتطرفة والإسلاموفوبيا، كما تقاتل أيضاً إلى جانب كتيبة آزوف، وهي قوة موالية لكييف تتبنى وجهات نظر النازيين الجدد، وذلك بحسب تصريحات قائد الكتيبة "مسلم تشيبرلوف" في حوار سابق مع موقع VICE""الأمريكي: "لدينا علاقة جيدة للغاية مع كتائب المتطوعين الأوكرانية، نحن نقاتل معاً على الجبهة، ونتشارك في العديد من الصداقات، ولا نجادل أبداً حول العرق أو الدين"، والكتيبة الأ خرى "جوهر دوداييف" نسبة إلى اسم أول رئيس للشيشان، والذي اغتيل عام 1994. و كان قد أسّس هذه الكتيبة القائد العسكري الشيشاني "عيسى موناييف"، الذي قاتل الرو س أثناء حرب الشيشان الثانية عام 1999، وبعد اندلاع القتال شرقي أوكرانيا، شكل م

ونايف الكتيبة من مئات المتطوعين تحت قيادته، لكنه قُتل خلال إحدى المعارك عام 2015. ويقود الكتيبة منذ ذلك الوقت "آدم عثماييف"، وهو أوكراني من أصول شيشان ية، وتشارك الكتيبة حالياً في القتال ضد القوات الروسية، وفي 27 فبراير، تعهّد زعيم كتيبة "جوهر دوداييف" آدم عثماييف بالقتال إلى جانب أوكرانيا[12].

ثالثاً، النموذج الأوكراني والأفغاني.. أوجه التشابه والاختلاف:

يقارن كثيرون بين النموذج الأفغاني والنموذج الأوكراني في الجهاد، بل صار متداولاً إع لامياً بشكل واسع فكرة "أفغنة أوكرانيا"، إذ تتشابه الظروف المحيطة بين الحربين من ح يث وحدة التهديد والعدو الروسي، واستحضار الأدوات ذاتها المرتبطة بشيطنة روسيا، واستنفار المتطوعين من مختلف أنحاء العالم، سواء من أعداء روسيا أو المناصرين لم ظلومية أوكرانيا أو المدعومين غربياً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك حلف ا لناتو.

وأكبر ما يقلق موسكو هي محاولات الولايات المتحدة الأمريكية أفغنة أوكرانيا، كما فعل ت بأفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، حيث سارعت واشنطن إلى احتضان المجا هدين المحليين، ومن جنسيات متعددة لاحقاً، وأمدّتهم بالدعم الذي أنهك موسكو، واض طرها إلى الانسحاب بعد عشر سنوات، والآن تتجه إدارة الرئيس بايدن نحو تكرار تلك ا لتجربة في أوكرانيا، فضلاً عن تصريحات للجنرال المتقاعد باري ماكغفري، توقع فيها ا ستمرار الحرب "الروسية – الأوكرانية" 10 سنوات على الأقل[13].

لم تكن الظاهرة الجهادية مع "العرب الأفغان" ظاهرة عابرة، ذلك أن الأمر لم ينته بانس حاب الجيش السوفيتي من أفغانستان. فقد اكتسب المقاتلون العرب الذين جاؤوا من جم يع أصقاع العالم خبرة قتالية، وشكلوا شبكاتٍ أصبحت مصدر قلق في دولهم الأصلية، وبعد ذلك في العالم، حيث انضم هؤلاء المتطرفون المتجولون إلى الحرب في البوسنة م ع انهيار يوغسلافيا، ثم انتشروا بعد ذلك إلى الشيشان والجزائر والعديد من الأماكن الأ خرى في منطقة الشرق الأوسط.

وفي الإطار نفسه يمكن أن تشكّل الحرب في أوكرانيا نقطة الانطلاق لتكرار تجربة مما ثلة لما حدث في أفغانستان؛ ذلك أن هناك وجوداً راسخاً لليمين المتطرف في البلاد، و في ظل الديناميات الجديدة بعد الغزو الروسي، وهناك حديث قوي عن انضمام أفراد أج انب من جميع أنحاء العالم إلى جهود المقاومة التي تبذلها الحكومة الأوكرانية[14].

وعلى عكس ما سبق، فقد استبعدت تقارير غربية تكرار النموذج الأفغاني في أوكرانيا و منها تقرير تساءلت فيه صحيفة "لوفيغارو" الفرنسية إذا ما كان من المحتمل أن تستسل م كييف في نهاية المطاف لهجوم الجيش الروسي، فهل يمكن بعد ذلك توقع مقاومة ط ويلة؟ حيث عادت الصحيفة إلى الوراء لتذكّر بأنه في 11 ديسمبر 1994، عندما أطل ق الكرملين قواته لمهاجمة الشيشان، أعلن مسؤول روسي أنه سينهي التمرد في غضون 48 ساعة. لكن الأمر استغرق خمسة أسابيع للقوات المسلحة الروسية، وحدث اندلاع غير مسبوق للعنف والقصف الجوي وهجمات الدبابات للسيطرة على القصر الرئاسي في عام 1995، واستمر الصراع عامين، أعقبه صراع آخر أطول في عام 1999. ودُم رت غروزني والشيشان، واعتبرت الصحيفة أنه ما يزال من السابق لأوانه الإجابة، ولكن ليس من السابق لأوانه طرح السؤال: هل ذهب فلاديمير بوتين بعيداً هذه المرة؟ هل ستكون الحرب في أوكرانيا أفغانستان جديدة لروسيا؟ هل ستكون بداية النهاية لعهد رئي س أصبح قيصراً ثم ديكتاتوراً؟[16]. لكن من الواضح أنه لم يَقِس مقاومة الجنود الأوك رانيين، ولم يقِس أيضاً مقاومة الشعب الأوكراني الذي ألقى زجاجات المولوتوف من الن وافذ على الدبابات الروسية وتكتّل خلف رئيسه فولوديمير زيلينسكي، الذي رد على الإدا رة الأمريكية عندما عرضت تهريبه بالقول: "لست بحاجة لسيارة أجرة، أنا بحاجة إلى أ سلحة"[17].

جدول يوضح أوجه المقارنة بين حربي أفغانستان وأوكرانيا وتداعياتهما على الحركات المتطرفة[15]

وجه المقارنة	أفغانستان	أوكرانيا
أطراف الحرب الرئيسيون	الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، حيث جرى في عام 1979 الغزو السوفيتي للأفغانستان، وتحفزت في مواجهته الولايات المتحدة الأمريكية.	روسيا في مواجهة حلف الناتو والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، حيث بدأت الحرب الروسية في أوكرانيا في 24 فبراير 2022، وانقسم العالم حولها بين مؤيد لروسيا، ورافض لغزوها أوكرانيا.
الدوافع لحشد المرتزقة	تم حشد المرتزقة على أساس طائفي بدعم أمريكي في مواجهة الوجود السوفيتي، بحيث تركز الأمر على الجهاديين العرب والأفغان والمسلمين.	تجري دوافع حشد المرتزقة على أساس العداء للروس من ضحاياها السابقين، وحماية أمن أوروبا، والنزعات اليمينية المتطرفة.
الإغراءات والتوجهات الداعمة	جرى التركيز على فكرة الجهاد الإسلامي، ومناصرة المسلمين في أفغانستان، بدعم من دول عربية وإسلامية، وبتوافق ودعم وتدريب أمريكي.	يجري الإغراء بالتمويلات المالية، وتغذية النزعات القومية المناهضة لروسيا.
الدعوة إلى استقدام المتطوعين أو المرتزقة	استعانت الولايات المتحدة الأمريكية بمجاهدين من الدول الإسلامية كافة، مدعومة من أنظمة شرق أوسطية في حينها، ووفقاً لتوجهات أيديولوجية، وبعد انتهاء الحرب تحول هؤلاء المجاهدون من أدوات أمريكا ضد السوفييت إلى أداة في مواجهة أمريكا ذاتها.	أوكرانيا استقدمت مقاتلين أجانب ليحاربوا إلى جانب جيشها النظامي، وتم إنشاء فيلق من المتطوعين من خارج البلاد، ونشرت الصحف إعلانات لشركات مقاولات عسكرية تطلب فيها مقاتلين متفرغين يجيدون القتال بمكافآت مالية كبيرة، وبالفعل وصل المقاتلون الأجانب للأوكرانيا، بينهم بريطانيون وجنود أمريكيون سابقون وغربيون من بولندا وأستراليا، وتم تجنيد مرتزقة من سوريا، وخاصة إدلب، أغلبهم من جماعات تنتمي لتنظيمات إرهابية مثل داعش والقاعدة، وآخرون من أفريقيا، التي تعاني معظم بلدانها أوضاعاً اقتصادية متعثرة.
الانقسام العالمي حول الأزمة	أدانت الاحتلال السوفيتي 108 دول بينما دعمته 18 دولة اشتراكية، وامتنعت 12 دولة عن التصويت، وأدانت الصين وباكستان الغزو السوفيتي لأفغانستان عام 1980، ودعمتا المجاهدين الأفغان.	في تصويت تم في 2 مارس الماضي، امتنعت 35 دولة عن التصويت وفضّلت الحياد، ومنها دول مهمة سياسياً واقتصادياً، كالصين والهند وباكستان، التي يشكل عدد السكان فيها نحو نصف سكان العالم.
نقاط الارتكاز والدعم	قدم الغرب دعماً عسكرياً كبيراً من أسلحة وذخيرة ومعدات، حيث كانت باكستان بين 1979- 1989 مركز الدعم العسكري الذي وفره الغرب والولايات المتحدة للمجاهدين في أفغانستان، كما كانت هي الدولة التي استقبلت أول موجة هجرة من أفغانستان وفتحت أبوابها للاجئين.	يقدم الغرب دعماً عسكرياً كبيراً عبر بولندا التي تستقبل اللاجئين من أوكرانيا، وتعد مركزاً للتواصل الأوكراني مع العالم الخارجي، واستقبلت في هذا الإطار وفوداً من دول عدة خلال الحرب على رأسهم الرئيس الأمريكي بايدن.
البيئة الجغرافية للحرب	تتميز بطبيعة جبلية وتضاريس وعرة، وكانت صعوبة التضاريس والطبيعة الجبلية من العوامل التي أثرت كثيراً في مجريات الحرب أمام الاتحاد السوفيتي، وحدّت من قدرته على التحرك من نقطة لأخرى، كما وفرت ميزة كبيرة للمجاهدين المسلحين ومكنتهم من تطبيق أسلوب الهجمات الخاطفة، والاختماء في الجبال، وتحولت المعركة إلى حرب استنزاف استمرت سنوات.	تتشكل معظم الأراضي الأوكرانية من أراض مسطحة وتضاريس سهلة، إضافة إلى الطرق السريعة المتطورة مقارنة بأفغانستان؛ ما أدى إلى وصول القوات الروسية إلى أبواب المدن الأوكرانية قبل أن يمر شهر واحد على اندلاع الحرب، ويبدو أن اشتباكات الشوارع والأحياء السكنية هي التي ستحدد مصير الحرب.
الروابط التاريخية والثقافية	واجه الاتحاد السوفيتي صعوبة في إقناع شعبه بشرعية غزو أفغانستان، خاصة في ظل الاختلاف الثقافي الكبير بين البلدين آنذاك، وعدم وجود روابط وثيقة بين الشعبين ثقافياً وتاريخياً ودينياً؛ ولذا كان هناك دائماً انتقادات داخل الرأي العام الروسي للحرب على أفغانستان وتساؤلات عن مدى شرعيتها.	تُعتبر روسيا مناطق داخل أوكرانيا، مثل أوديسا وسيفاستوبول ودونباس، ميراثاً تاريخياً؛ ولذا تمكن الرئيس الروسي من نيل دعم الرأي العام عبر الترويج للنظريات القومية التي تقول إن هذه المناطق كانت في السابق جزءاً من بلاده، فضلاً عن ترويجه لدعوى اضطهاد النازيين الجدد في أوكرانيا للأقليات الروسية.
الآثار المترتبة على الحرب بالنسبة للحركات المتطرفة	غزو أفغانستان من قبل السوفييت ولّد "القاعدة" وأخواتها، التي امتدت أذرعها إلى العراق عقب الاحتلال الأمريكي للعراق، حيث ولد "القاعدة" و"داعش" أولاد الزرقاوي.	الحرب الأوكرانية سوف تولّد أجيالاً جديدة من المتطرفين في داخل أوروبا، وقد يُسمح لهم بالنفاذ لدولها كافة، وسيشكلون تهديداً لأمنها، وسيحدث نمو للخلايا النائمة من الذئاب المنفردة بشكل يتطلب سياسات أمنية متطورة جداً، وقد تظهر حركات إرهابية قائمة على العرق.

رابعاً، حجم التهديدات المستقبلية للأمن في أوروبا:

طرحت الحرب الروسية الأوكرانية من جديد هاجس الأمن الأوروبي من عدة زواياً، أوله ا شعور معظم مواطني أوروبا بمخاوف من استمرار الحرب أو احتمالات توسعها. كما طرحت الأزمة زواياً أخرى؛ منها إعلان دول أوروبية كبرى، وعلى رأسها ألمانيا، معاودة النظر في استراتيجياتها التسليحية لجيوشها تحسباً لأي خطر وارد أو مواجهة غير مت وقعة، فيما يطرح البعض هاجساً آخر مرتبطاً بفكرة الاستعانة بالجيوش غير النظامية، أو تلك الجماعات المؤدلجة في مناصرة أيٍّ من الطرفين.

ووفقاً لاستطلاع أجراه مؤخراً المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية يرى الأوروبيون أن ا لمدافعين الرئيسيين عن أوكرانيا هم الاتحاد الأوروبي (80%) وحلف الناتو (79%)، و أن الدفاع عن أوكرانيا بالنسبة لمعظم الأوروبيين يعنى الدفاع عن النظام الأمني الأورو بي بعد الحرب الباردة، بدلاً من مجرد الانحياز إلى جانب في الصراع الروسي – الأوك راني[18]. كما لا يزال معظم الأوروبيين يثقون بالناتو في الدفاع عن أوروبا، وأن "الن اتو" لم يعد مجرد اسم آخر لـ "الولايات المتحدة". وفي جميع البلدان التي شملها الاستط لاع، باستثناء بولندا ورومانيا، يعتقد المزيد من المشاركين أن ألمانيا في وضع أفضل م ن الولايات المتحدة لحماية مصالح مواطني الاتحاد الأوروبي. ويثبت الاستطلاع أيضاً أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي لم يمنع لندن من عرضها التضامن مع كييف الذي حظي بتغطية إعلامية كبيرة، وقلة قليلة من المواطنين في أوروبا يرون أن للمملكة المتحدة دوراً كبيراً. و يعتقد المشاركون في بولندا بنسبة 66% والسويد بنسبة 52% أ ن المملكة المتحدة يجب أن تدافع عن أوكرانيا، فيما يخشى الألمان والفنلنديون والروما نيون والإيطاليون في المقام الأول أن تقطع روسيا عنهم إمدادات الطاقة. وفي الوقت ن فسه ربما يشعر الفرنسيون والسويديون بالقلق من الهجمات الإلكترونية؛ بسبب محاولات موسكو الأخيرة التدخل في انتخاباتهم[19].

وبشكل متصل نجد أن المرتزقة يشكلون خطراً داهماً على منظومة الأمن الإقليمي والدو لي، ويُنظر إلى هؤلاء باعتبارهم شوكة في خاصرة الأمن والاستقرار الدوليين لسهولة ت وظيفهم واستقطابهم، والزج بهم في ساحات مختلفة كوقود للصراعات، وهو ما شهدته ب لدان عدة في العالم، خلال فترات زمنية مختلفة، ويأتي هذا في الوقت الذي يحذر فيه م راقبون من الخطر الداهم الذي يواجه أوروبا قادماً من ناحية الشرق، حيث المرتزقة في حرب أوكرانيا، والذين يحملون جنسيات مختلفة من المملكة المتحدة إلى أستراليا وبولندا وإيطاليا واليابان وحتى الحديث عن مشاركة جنسيات عربية، والذين قد يتسببون جميعاً في تحديات أمنية واسعة مستقبلاً، وذلك بالقياس على تجارب سابقة تم الدفع خلالها بالمرتزقة (في أفغانستان والعراق وسوريا على سبيل المثال)، وهو ما يستدعي الحديث عن تهديد يلف أوروبا[20].

وكانت الدعوات إلى استقطاب مقاتلين أجانب متطوعين و"مرتزقة" بدأت فعلياً، حيث د عا الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي كل الأجانب، الذين يريدون الانضمام إلى مقا ومة الروس – دعاهم إلى المجيء إلى بلاده والالتحاق بصفوف الجيش. ولم تعلق أو تعترض دول الاتحاد الأوروبي أو بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية على الأمر، بل سارعت دول أوروبية إلى مشاركة أوكرانيا في حشد المقاتلين، مثل بريطانيا والدنمار ك اللتين سمحتا للمتطوعين منهما بالانضمام إلى فيلق دولي، وأعلنت لاتفيا موافقة البر لمان بالإجماع على إرسال المتطوعين بالقتال إلى أوكرانيا في 1 مارس 2022، وكذل ك تطوع 400 سويدي، ونحو 100 شخص يعيشون حالياً في اسكتلندا، وكذلك 70 م تطوعاً يابانياً، معظمهم جنود[21]. فيما تتوارد تقارير عن استقطاب مرتزقة ومقاتلين م ن كل من أفغانستان وليبيا واليمن والعراق وإدلب السورية، حيث تم سحب مجموعة من المقاتلين من جبال اللاذقية وإدلب باتجاه تركيا منذ فترة، ويجري تدريبهم بشكل جيد، و هم يحملون جنسيات روسية مثل مجموعات أوزبيكية، وأجناد القوقاز، وعناصر الحزب الإسلامي التركستاني، وقبائل البشتون التي تعيش بين الحدود الإيرانية والأفغانية، أما

تحرير إدلب فمتوقف على اتخاذ قرار روسي سوري مشترك، وخاصة أن القوات التركية في الخطوط الأمامية هناك[22].

وليست الأزمة هنا في مشاركة المرتزقة والمتطوعين في الحرب الدائرة، حيث ينشغل ال جميع الآن برحى الحرب الدائرة رغم صعوبتها، لكن الأزمة الحقيقية ستبدأ مع انتهاء ا لحرب فعلياً، إذ ستكون الحرب قد صنعت أجيالاً جديدة من المقاتلين الشرسين، بينهم مَ ن مارس العنف للمرة الأولى ومنهم من شعر بذاته في القوة وممارسة أعمال عسكرية ر بما على غير المعتاد بالنسبة له، إذ إن التجارب الماضية المماثلة كأفغانستان خلفت أ خطر تنظيم إرهابي عرفته البشرية وهو تنظيم "القاعدة"، والذي كان كالنبت الشيطاني ا لذي تولدت منه الجماعات المتطرفة الأخرى كافة، وأسفرت تطوراته عن تنظيم "داعش" وأمثاله، بل لقد ظهر داعش في العراق، بعد الغزو الأمريكي له واحتلاله، كأعنف تنظ يم إرهابي تحول إلى دولة، بل ونشر التنظيمان ذئاباً منفردة وخلايا نائمة ظلت لسنوات طويلة تهدد أوروبا بعمليات فردية أزعجتها على مدار السنوات الماضية، بل إن المتطو عين من أبناء أوروبا في الحرب الأوكرانية، والذين تدعمهم أوروبا ويعجزون عن المش اركة فيها علناً، هم أنفسهم الذين تخلوا عن استقبال عوائل أبنائهم الذين اعتنقوا التطرف في داعش، بل وصل الأمر ببعض الدول ومنها بريطانيا إلى إسقاط الجنسية عن موا طنيها تهرباً من استقبالهم أو حتى استقبال أطفالهم؛ الأمر الذي يُعتقد معه أن العناص ر التي انضوت تحت ألوية مختلفة للقتال في أوكرانيا، أياً كانت دوافعهم أو وجهاتهم، لن يعودوا من حيث أتوا بسهولة كما يُعتقَد، بل بالقياس على التجارب السابقة سيصبحو ن خنجراً في خاصرة أوروبا، وورقة تهديد لأمنها واستقرارها.

وثمة تداعيات محتملة لتدفق المقاتلين الأجانب إلى ساحة الحرب في أوكرانيا؛ ومنها ت شكيل بؤرة تطرف جديدة، وتطرح احتمالية أن تصبح أوكرانيا مركز ثقل جديداً للمقاتلين الأجانب، ومع حصول هؤلاء على التدريب والخبرات القتالية، فسيكون من الصعب ال

سيطرة عليهم حال انتهاء القتال؛ ما يؤدي إلى زيادة محتملة من النشاط المتطرف داخل البلاد من ناحية، واحتمالية تهديد الدول الواقعة في نطاقها الجغرافي من ناحية أخرى.

كما سيعزز وجود المقاتلين الأجانب من استهداف المدنيين، ولاسيما من قبل المقاتلين ا لذين انضموا إلى القتال بغرض الإثارة والمغامرة، إذ كانوا أكثر ميلاً إلى ارتكاب جرائم ضد المدنيين الذين صادفوهم أثناء خدمتهم في منطقة نزاع أجنبي.

ومنها أن وجود المقاتلين الأجانب في مناطق الصراعات سيؤدي إلى إطالة أمدها، ومن ثم تعثُّر مساعي التسويات السياسية، إذ سيسعون إلى إفساد عمليات السلام بهدف تقو يض استقرار الأوضاع؛ وذلك لأن استمرار الصراع يساعد في الحفاظ على مصالحهم؛ ما يدفعهم إلى التوسع في توظيف العنف سعياً لإفساد عمليات التسوية، فكلما زاد انخر اط الأطراف الخارجية في النزاع، أصبحت النزاعات أطول وأكثر دموية،

ومنها أن عودة هؤلاء المقاتلين إلى بلدانهم الأصلية سيثير جملة من التحديات والإشكا ليات على الصعيد القانوني، ولاسيما مع اختلاف التعاطي الدولي معهم، إذ شجعت ب عض الدول مواطنيها للذهاب إلى أوكرانيا، بينما حذرت دول أخرى مواطنيها من الانخ راط في القتال هناك. وكذلك على الصعيد الأمني، وخاصة أن هؤلاء أصبح لديهم خبر ات مكتسبة ستولّد لديهم القدرة على التجنيد ونشر العنف؛ ما يمثل تهديداً لأمن الدول و المجتمعات[23].

وأخيراً، فإن الخلفيات الاجتماعية والتعليمية والثقافية المختلفة، التي ينتمي إليها هؤلاء ا لمقاتلون الأجانب، لا تؤهلهم في الغالب للتعامل السلمي مع أسرى الحرب والجرحى، و غيرها من المسائل المتعلقة بقواعد الجيوش النظامية، وهو ما قد تنجم عنه انتهاكات ره يبة يصعب محاسبة مقترفيها لأنهم ليسوا جنوداً نظاميين. بل هناك مخاطر محلية على نطاق أوكرانيا، حيث مكمن المخاوف من جلب مقاتلين أجانب إلى أوكرانيا في أن هؤ لاء في الغالب ليس لديهم دوافع نبيلة أو وطنية للحرب، بل يذهبون للقتال بحثاً عن الم

ال، وهم في الأساس عناصر إجرامية؛ ما يثير القلق من أن هذا الجهد سوف يشجع م لكية الأسلحة الخاصة، والتي تنطوي على مخاطر في الجريمة والانتحار والعنف المنز لي.

الخلاصة:

تكرر كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وروسيا السيناريوهات ذاتها التي جربت ها في حروب سابقة في أفغانستان والعراق وسوريا، والجميع يدرك المخاطر المحدقة ب الاستعانة بالمرتزقة في الحرب. كما أن المرتزقة يمثلون واحدة من أهم أوراق المعارك ا لدائرة ميدانياً في الوقت الراهن، ويزيدون من تعقيدات المشهد العسكري لدى كلا الجانب ين، ويزيدون من أمد المعارك، ويسهمون في إفشال الجهود الدبلوماسية لحل الأزمة.

لقد أعادت الحرب الأوكرانية تنشيط وجود المرتزقة وجمعت شتاتهم من أفغانستان، والش رق الأوسط، وأفريقيا، وأحضرت المئات من الذئاب المنفردة إلى ساحات القتال في موا جهة الروس في الحرب الأوكرانية. وبتعبير آخر، فإن تجميع كل هذه الأعداد من المر تزقة، التي تجاوز عددها 40 ألف مقاتل، من مختلف أنحاء العالم يفتح المجال لأقوى وأوسع اختراق أمني على مدار التاريخ الحديث لمنظومة الأمن في أوروبا. ومع انتهاء ا لحرب مع روسيا ستكون بداية صعبة لنموذج مختلف من المرتزقة والإرهاب في قلب أ وروبا، بل ومن الوارد أن يلتفت هؤلاء لصناعة عدو جديد في الداخل الأوروبي، وفي هذا الإطار ستدفع أوروبا لسنوات طويلة أو ربما لعقود مقبلة ثمناً باهظاً مقابل سماحها بدخول المرتزقة أراضيها.

المراجع

[1]. "أوكرانيا تنشئ "فيلقاً دولياً "للمتطوعين الأجانب بالجيش"، بوابة العين الإخبارية، 27 فبراير 2022، *https://bit.ly/3JUhM1E*

[2]. "روسيا تلجأ إلى المرتزقة بحربها ضد أوكرانيا في ظل تزايد خسائرها"، موقع ديارنا، 24 مارس 2022، https://bit.ly/3xAhnPt

[3]. المرجع السابق.

[4]. "الكرملين: بإمكان السوريين التطوّع للقتال إلى جانب روسيا في أوكرانيا"، فرنسا 24، 11 مارس 2022، https://2u.pw/F1r12

[5]. "خبرة السوريين مطلوبة في معارك دونباس"، موقع روسيا اليوم، 14 مارس 2022، https://2u.pw/FxAlp

[6]. المرجع السابق.

[7]. "أكثر من 40 ألف مقاتل سوري سجلوا أسماءهم للذهاب إلى أوكرانيا للقتال بجانب الروس"، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 13 مارس 2022، https://2u.pw/WHU2U

[8]. "التايمز": أوامر من بوتين لمرتزقة "فاغنر" باغتيال رئيس أوكرانيا و2 3 شخصية حكومية"، موقع الإمارات اليوم، 1 مارس 2022، https://2u.pw/eXD8p

[9]. "حرب المتطوعين.. 16 ألف متطوع من الشرق الأوسط طلبوا القتال مع روسيا في أوكرانيا.. وهكذا رد بوتين"، الشرق القطرية، 11 مارس 2022، https://2u.pw/E8dnK

[10]. "مرتزقة عرب وأفارقة في الحرب الأوكرانية؟"، موقع دويتش فيله، 8 م ارس 2022، https://2u.pw/AXu6T

[11]. "مع من يقاتل المسلمون الشيشان والتتار في أوكرانيا؟"، دويتش فيله، 28 مارس 2022، https://2u.pw/K6ug8

[12]. المرجع السابق.

[13]. "أسباب تأخر الحسم الروسي وهل تنجح محاولات «أفغنة» أوكرانيا؟"، موقع المرجع، 13 مارس 2022، https://2u.pw/FGL3R

[14]. ياسين الجندوزي، "من أفغانستان إلى أوكرانيا: خطر المقاتلين الأجانب في أوروبا"، عين أوروبية على التطرف، 28 مارس 2022، https://2u.pw/nke2r

[15]. لمزيد من التفاصيل حول أوجه الشبه والاختلاف، انظر:

– رحيم الله فرزام، "هل تصبح أوكرانيا أفغانستان جديدة؟"، وكالة أنباء الأناضول، 31 مارس 2022، https://2u.pw/JLuER

– ريم عبدالمجيد، "أسوشيتدبرس: تأثير حرب أوكرانيا على الأمريكيين أكبر من حربي أفغانستان والعراق"، موقع اليوم السابع، 6 مارس 2022، https://2u.pw/hkddL

– د. سنية الحسيني، "المرتزقة: وجه آخر لقيم الديمقراطية والعدالة الغربية"، ميدل إيس ت أون لاين، 24 مارس 2022، https://2u.pw/3gRY6

* تم إعداد الجدول بمعرفة الباحث

[16]. "لوفيغارو: هل ذهب بوتين بعيداً هذه المرة؟ وهل تكون أوكرانيا أفغان ستان جديدة؟"، القدس العربي، 1 مارس 2022، https://bit.ly/3rwDYZp

[17]. "لوفيغارو: هل تكون أوكرانيا أفغانستان جديدة لبوتين؟"، ميدل إيست نيوز، 28 فبراير 2022، https://2u.pw/xHdeB

[18]. رحاب جودة خليفة، "الحرب الأوكرانية نقطة تحول للأمن الأوروبي"، جريدة الأهرام، 21 مارس 2022، https://2u.pw/ww1Kr

[19]. المرجع السابق.

[20]. محمد خالد، "المرتزقة.. شوكة في خاصرة العالم"، جريدة البيان، 27 مارس 2022، https://bit.ly/3xBea20

[21]. إكرام زيادة، "المقاتلون الأجانب وتسليح المدنيين في أوكرانيا، النموذج الأفغاني وسيناريو الفوضى"، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب، 18 إبريل 2022، https://2u.pw/FErbD

[22]. إكرام زيادة، المرجع السابق.

[23]. تقى النجار، "تهديدات محتملة: ظاهرة المقاتلين الأجانب في الحرب ا لروسية الأوكرانية"، المركز المصري للفكر والدراسات، 14 مارس 2022، https://bit.ly/3uW77zn